جامعـة القاهـرة

كليـــة الآثـــــــار

قســـم الآثــار الإسلاميـــة

الدراســـــــات العليـــــا

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه فى الآثار الإسلامية بعنوان

قنصليات طرابلس الغرب فى العصر العثمانى

دراسة أثرية معمارية تحليلية مقارنة

(958 – 1329هـ / 1551 – 1911م)

إعداد الباحثة

حنان سالم عبد الله زريق

المدرس المساعد بكلية الآثار والسياحة

جامعة المرقب – ليبيا

إشراف

الأستاذة الدكتورة/ آمال أحمد العمر ى — الدكتور/ طه عبد القادر عمارة

أستاذ الآثار الإسلامية المتفرغ — **أستاذ مساعد الآثار الإسلامية المتفرغ**

كلية الآثار – جامعة القاهرة — **كلية الآثار – جامعة القاهرة**

المجلد الأول

1435هـ / ٢٠١٤م

ملخص الرسالة

الدراسة التى سوف يتناولها الباحث من وجهة نظر أثرية معمارية فنية مقارنة ، محاولاً الوقوف على بيان أهمية تلك العمائر التى لاتزال شاهدة حتى اليوم على عصر من أزهى عصور التاريخ الإسلامي فى ليبيا داخل أسوار المدينة القديمة .

وقد وقع اختيارى على عدد ست من القنصليات التى لاتزال قائمة داخل أسوار المدينة القديمة ، وأن تباينت حالتها تبايناً ملحوظاً ، فمنها ماهو فى حالة جيدة بعد إجراء عمليات الصيانة والترميم لها ، ومنها ماهو فى حالة سيئة للغاية بدرجة كان من الصعب جداً الوصول إليها لدراستها، والقنصليات موضوع الدراسة هى " القنصلية الفرنسية، والقنصلية الإنجليزية، والقنصلية الإيطالية، والقنصلية الأمريكية، والقنصلية الدنماركية، والقنصلية الهولندية "

وقد أنشئت هذه المنازل والبيوت (القنصليات حالياً) فى العصر العثمانى على عدة أسس وقواعد أتبعها المعمار المسلم والتزم خلالها بالمميزات العامة التي سيطرت على إنشاء مثل هذه المبانى والمنشئات المدنية فى العصر العثمانى، ومن أهم هذه العوامل التى أثرت على شكل وطريقة بناء وتأسيس البيوت فى العصر العثمانى التالي :

١- العامل المناجى .

٢- العامل الاجتماعي .

٣- العامل الديني .

الكلمات الدالة :

- القنصليات .
- طرابلس الغرب .
- العصر العثمانى .
- القنصلية الامريكية .
- القنصلية الانجليزية .
- القنصلية الفرنسية .
- القنصلية الايطالية .
- القنصلية الهولندية .
- القنصلية الدنماركية .

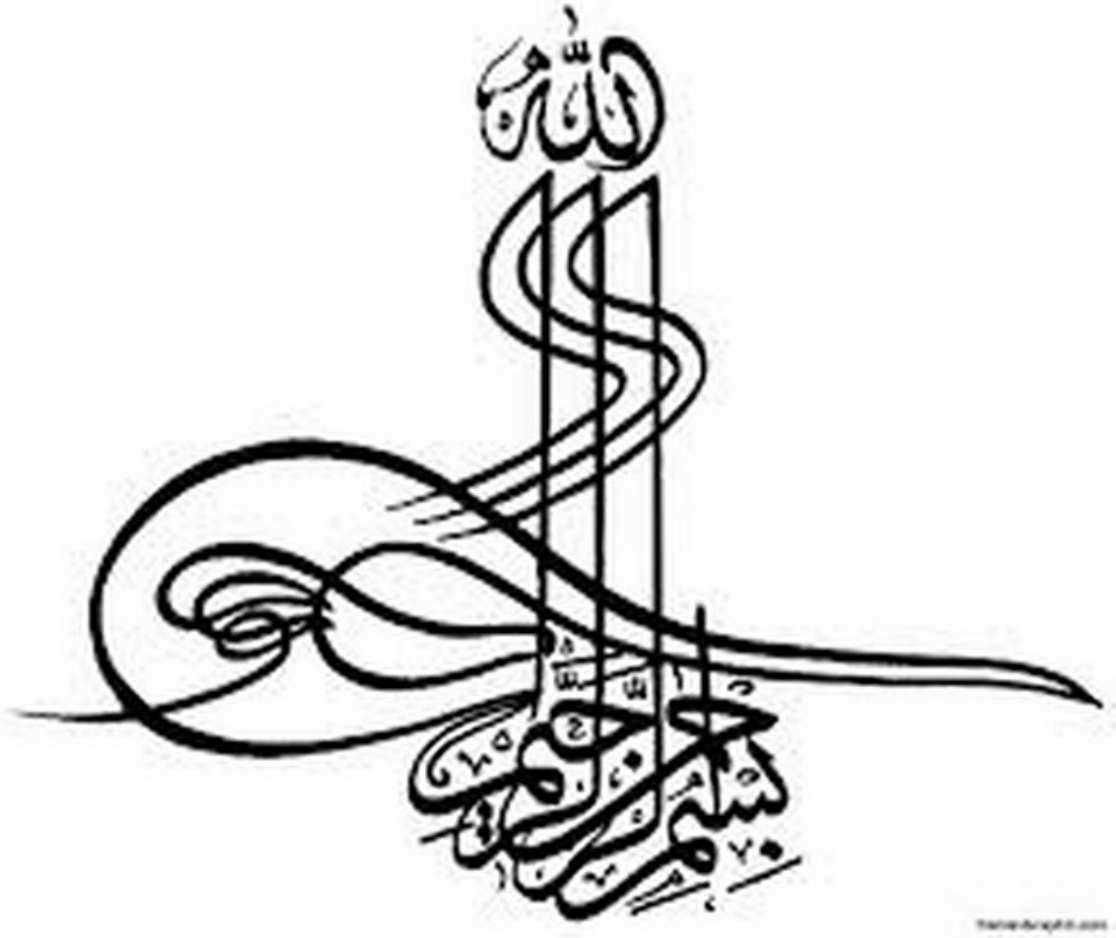
الله
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى روح كل شهيد سقط على أرضٍ عربية

إلى كل دماء ذكية سالت على أرض ليبيا

إلى كل أم فقدت أبنها

إلى كل زوجة فقدت زوجها

إلى كل طفل فقد والده

أهدي هذا العمل المتواضع .. وأدعو الله عز وجل أن يرفع مقته وغضبه عنا ..

الباحث

شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ... "الأحقاف آية ١٥"

صدق الله العظيم

الحمد لله الذى هيأنى وهيأ من عبادة المخلصين من أنار الطريق وبسط يديه الكريمتين يعطى ويؤازر، ولولاهم ما رأى هذا البحث النور، فأصبح شكرهم وفاءً وعرفاناً:

فلا يسعنى إلاَّ أن أرفع أكف الضراعة شاكرة المولى عز وجل أن هيأ لى مشرفةً بلغ من التمحيص والدقة مبلغاً لا يُباري، وممتنة بالفضل إليه، فقد استهل البحث على يديها وليداً، ونهض على يديها شاباً، ومن قبل نهضت على يديها بحوثلا يحصى عددها إلاَّ الله حتى أقامت صرحاً شامخاً من التميز يشهد ببراعة الباني وجودة البناء، ذلكم هي الأستاذة الدكتورة/ أمال العمري – أستاذ الآثار الإسلامية المتفرغ بكلية الآثار – جامعة القاهرة، فكم تعلمت منها الصبر والتثبت، والإخلاص والجد وحسبها صفات تضيء لطالب العلم مجاهل الطريق، وتكفيه مؤنة التردي في بحر لجِّي من التجريب والمغامرة، فجزاها اللع عنى خير الجزاء.

وكل الشكر والتقدير إلى الدكتور/ طه عبد القادر عمارة – أستاذ الآثار الإسلامية المساعد المتفرغ بكلية الآثار – جامعة القاهرة، أدعو الله عز وجل أن يبارك لنا في عمله وأن ينسأ في أثره ويبارك له في أهله وولده وأن يجزيه عني وعن العلم وأهله خير الجزاء.

وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ...

الباحث

محتويات البحث

البسملة ..... أ

الإهداء ..... ب

الشكر والتقدير ..... ج

محتويات البحث ..... د – هـ

مقدمة ..... ١ – ١٢

تمهيد: لمحة تاريخية مختصرة عن تاريخ طرابلس الغرب حتي نهاية العصر العثماني الثاني..... ١٣ – ٢٧

الباب الأول: الدراسة الوصفية ٢٨

الفصل الأول: القنصلية الأمريكية ..... ٢٩ – ٣٩

الفصل الثانى: القنصلية الإنجليزية ..... ٤٠ – ٤٥

الفصل الثالث: القنصلية الفرنسية ..... ٤٦ – ٥٦

الفصل الرابع: القنصلية الإيطالية ..... ٥٧ – ٦١

الفصل الخامس: القنصلية الهولندية ..... ٦٢ – ٦٨

الفصل السادس: القنصلية الدنماركية ..... ٦٩ – ٧١

الباب الثانى: الدراسة التحليلية ٧٢

الفصل الأول:

العناصر المعمارية فى مبانى قنصليات مدينة طرابلس القديمة .. ٧٣ – ١٣٥

الفصل الثانى:

العناصر الزخرفية فى مبانى قنصليات مدينة طرابلس القديمة .. ١٣٦ – ١٤٩

الباب الثالث:

الدراسة المقارنة ..... ١٥٠ – ١٨٨

الخاتمة ..... ١٨٩ – ١٩١

التوصيات ..... ١٩٢ – ١٩٤

قائمة المصادر و المراجع العربية والأجنبية ..... ١٩٥ – ٢١٣

فهرس الأشكال واللوحات ..... ٢١٤ – ٢٣٢

كتالوج الأشكال واللوحات

أولاً: الأشكال ..... ٢٣٣ – ٢٧٩

ثانياً: اللوحات ..... ٢٨٠ – ٣٩٤

مقدمة

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، نحمده حمد الشاكرين ونشكره شكر الحامدين، له الفضل والمنة، قَرَب القصى ويَسَر العَصِى وهدانا سبيل الإيمان وحصننا بالصبر والتكلان وبفضله بزغ هذا البحث إلى دينا البحوث والعرفان، وبعد..،

يُعد موضوع يتعلق بقنصليات المدينة القديمة بطرابلس الغرب من الناحيتين الأثرية والمعمارية، من الموضوعات المهمة فى نفس الوقت، لما يحمله بين ثناياه من روائع وإبداعات مميزة للعمارة الإسلامية بزخارفها وكيانها المعماري في العصر العثماني ، و الجهد المبذول من قبل الباحث بدنياً ونفسياً، فى محاولة منه للوصول بموضوعه إلى الدرجة التى ترقى لأن تكون مرجعاً موثقاً فى المكتبات العربية لكل باحث أثارت تلك القنصليات إهتمامه، وكذلك لتكون بذرة ونواة للعديد من الباحثين لإستكمال مثل هذا النوع من الدراسات فى المستقبل فى مختلف بلدان العالم الإسلامى.

فدراسة قنصليات مدينة طرابلس القديمة يُعد من الموضوعات التى تستحق البحث والدراسة، فقد كان لموقع مدينة طرابلس الجغرافي الممتاز واتخاذها مركز الحكم من قبل الدول المتعاقبة عليها منذ أقدم العصور، ثم اتخاذها عاصمة سياسية للإقليم الليبي، دوره في تنوع الموروث الحضاري للمدينة، مما جعل المدينة تزخر بكثير من المواقع والمعالم التاريخية الهامة، وإن كان تعاقب وتراكم الحضارات والدول المختلفة على المدينة ذاتها قد جعل طابع العهود الحضارية القريبة إلى زمننا الحالي هو الغالب على نمط معمار المدينة "طرابلس"، هذا الطابع الذي يحمل سمات المدينة العربية الإسلامية العثمانية، والتى تعتبر القنصليات من أهم وأبرز معالمها التى تثير شغف العديد من دارسى ومحبى الآثار الإسلامية.

وقد يتبادر إلى ذهن البعض منذ الوهلة الأولى أن لفظ "قنصلية" لهو بالمصطلح الحديث الدخيل على المسميات والمصطلحات التىيمكن أن نطلقها على نوع من العمائر الإسلامية، نظراً لتداوله فى العصر الحديث، الأمر الذى وجب معه التوضيح بأن هذا اللفظ قد استعمل خلال العصور الإسلامية الوسطى وورد ذكره فى العديد من الوثائق والمراسلات وعقود الإيجار – كما سيأتى ذكره بين ثنايا هذا البحث -، مع حفاظه على نفس دوره الوظيفى الذى لعبه سواء فى العصور الإسلامية أو فى العصر الحديث.

والقُنصلية لغوياً بضم القاف هى: مقام القُنصل (محدثه)[1]، والجمع قنصليات، وهى البيت الضخم الفخم المبنى بالحجارة ونحوها[2]، والقنصل هوالنائِبُ عن دولة في دولة أُخرى يرعى حقوقَها وتجارتَها ويدافع عن رعيتها[3]، لذا فإن القنصلية لا تختلف كثيرا عن المسكن أو مكان السكن، فالمسكن ببساطة هو المأوى أو الفراغ الواقى الذى يقى الإنسان من العوامل الخارجية، ويوفرله احتياجاته

---

[1] مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ٢٥٣.

[2] مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج٢، ط٢، القاهرة ١٩٧٠م، ص ٣٩٧.

[3] المعجم الوجيز، ص ٢٥٣.

الضرورية[٤]، الأمر الذى يجعلنا نطلق مطمئنين على الأبنية موضوع الدراسة لفظ القنصلية أو المنزل، فكلاهما بمعنى واحد، وكلاهما استخدم من أجل السكن والمعيشة، اللهم وإن أضيف غرض وظيفى جديد على الدور الأساسى للبناء كمنزل، وذلك عند تحوله إلى قنصلية، حيث أصبح مكاناً لإدارة شئون جالية بعينها أو رعايا إحدى الدول المقيمين فى طرابلس الغرب، وذلك مع الحفاظ على دوره الأساسى الذى بنى من أجله وهو السكن، حيث كان القنصل وعائلته يقيمون فيه أيضاً.

والمنزل هو كلمة عربية كانت تعني الصرح، أما كلمة "سراي" فهي فارسية وأصلها أشوري مركب من "شاور" أي ملك "أو" أي بيت، فيكون معناها بيت المالك وكذلك تعني كلمة "سراي" أيضاً "بلاط الملك وأصل معناها الدار الكبيرة العالية، أما "الكشك" فهي جوسق بالفارسية وهي تعني قصر أو حصن أو عمارة عالية، أما كلمة "السلاملك" فهي كلمة تركية في الأصل كانت تدل على القسم المخصص للرجال وضيوفهم في بيت أو قصر وقد أطلقت في العصر العثماني على الجناح المستقل في القصر مثل سلاملك المناسترلي وإذا نظرنا إلى الفرق بين معنى المنزل ومعنى السراي والكشك والسلاملك سوف نجد أن جميعها تعني البيت الكبير، ولكن "السراي" أشمل وأعم حيث أن كل من المنزل والكشك والسلاملك في أغلب الأحيان يمثل وحدة معمارية من أجزاء "السراي" حيث كانت السراي الواحدة أحياناً تشتمل على مبنى المنزل والسلاملك[٥]، وقد اختلف مفهوم المنزل من عصر إلى آخر فجرت عادة الملوك والسلاطين أن يشيدوا لأنفسهم المنازل الضخمة لتكون مقراً لملكهم وإقامتهم حيث نجد المنازل ترجع إلى ما قبل العصر العثماني بكثير فقد تعددت المنازل عبر العصور المختلفة ولكنه اختلف مفهوم المنزل من عصر إلى آخر كما اختلفت أهميته وحجمه ومكانه ودوره في المدينة وتتلخص تلك المفاهيم فيما يلي[٦]:

أ – المنزل كنواة للمدينة:

عندما شرع "ابن طولون" في بناء القطائع شيد في بادئ الأمر قصره – مسكنه - الذي كان بمثابة "نواة المدينة"، ثم حول السهل الواقع بجانب القصر إلى ميدان كبير فسمي القصر كله بالميدان ثم نمت باقي المدينة حوله ، وبالتالي ففي عصر الدولة العباسية كان المنزل بمثابة مركز المدينة وتدور

---

[٤] ماجد رؤوف خورشيد، أسس تصميم المسكن فى العمارة الإسلامية، أكاديمية القاهرة، معهد القاهرة العالى للحاسبات والمعلومات والإدارة الهندسية، قسم الهندسة المعمارية، القاهرة، ٢٠١٢م، ص٤.

[٥] عبد المنصف سالم، قصور الأمراء والباشوات في مدينة القاهرة فى التاسع عشر، دراسة للطرز المعمارية والفنية، الجزء الثاني، القاهرة ،مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٢م، ص ٩٨.

[٦] شيماء حسن زكي، إعادة توظيف القصور التاريخية في مصر، رسالة ماجستير، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، ٢٠٠٩، ص١٠.

حولـه وفـي مـداره وتتفـرع منـه بـاقي أجـزاء المدينـة أي أن المنـزل كـان بمثـل مركـز الحكـم فيشـمل كـل الدواوين الخاصة بشئون الدولة إلى جانب مقر الملك وعائلته وباقي رجال الدولة[٧].

ب – المنزل حصن حماية:

عندما فتح الفاطميون مصر أمر القائد "جوهر الصقلي" ببنـاء العاصـمة الجديـدة وكـان فـي ذلـك الوقت المقصود بالمدنأن تكون قلاعاً حصينة يحتمي وراءها السكان[٨]، ولهذا فليس بعجيب أن يكون أول شـيء يبـدأ هو السـور وقـد بنيـت بداخلـه المدينـة والتـي بـدأت أولا بمنـزل الحـاكم وقـد وصـفها عـالم الفرس "الناصر خسرو" بأن سراي السلطان في وسط القاهرة ويوجد حولها فضاء لا يوجد حولـه بنـاء وفي نظرة إلى السراي من بعد تراها وكأنها جبل لكثرة المباني وعلوها وأما من دخل البلد فلا يمكنـه رؤيتها بسبب علو الأسوار[٩].

ج – القصر وتضاؤل قيمته:

قدم "صـلاح الـدين الأيـوبي" إلـى مصـر فقـام بـإخلاء القصـور مـن سـكانها ولـم يعطيهـا الإهتمـام الذي كانت عليه من قبل وأعطى القصور للأمراء وبنى القلعة لتكون حصناً للقاهرة من الغزاة ونقل إليها مقر الحكم، وفـي عصـر المماليك استمر الحكم داخل أسوار القلعـة وبنـوا القصـور داخـل أسـوار القلعة وخارجها[١٠].

د – المنزل كنواة للمجتمع والحكم:

في العصر العثماني انتشرت المنازل في جميع أنحاء البلاد ولم يقتصر بنائها علـى الحكـام فقـط بل امتد إلى الأمراء وكبار رجال الدولة[١١]، وسيتم التركيز فـي الدراسـة علـى تلـك الفتـرة حيـث تتعـرض الآن للإهمال وعدم الحفاظ عليها حيث تحتوي على الكثير من القيم الجمالية والفنية والتاريخية بها.

أ – القيمة التاريخية:

هـي قيمـة مكتسـبة ومتزايـدة مـع حركـة الـزمن وترجـع قيمتهـا إلـى فتـرة حكـم العصـر العثمـاني والولاة والسلاطين وهي ترمز إلى فترة هامة من تاريخنا الحديث وتعبير عن ملامـح هـذه الفتـرة كمـا أن العديد من هذه المنازل مرتبط بالأحداث التاريخية الهامة مثلاً.

وتنقسم القيمة التاريخية إلى قيمة رمزية وقيمة زمنية

١ – القيمة الرمزية:

---

[٧] شيماء حسن زكي: المرجع السابق، ص١٠.

[٨] شيماء حسن زكي: المرجع السابق، ص١١.

[٩] شيماء حسن زكي: المرجع السابق، ص١١.

[١٠] شيماء حسن زكي: المرجع السابق، ص١٢.

[١١] شيماء حسن زكي: المرجع السابق، ص١٣.

تعكس هذه المنازل فترة هامة في تاريخ ليبيا الحديث وهي فترة حكم العثمانيين وتعكس مدى ثراء ورفاهية هذه الشريحة التي كانت موجودة في هذا العصر.

٢ – القيمة الزمنية:

تتمثل في مدى بقاء هذه المنازل واستمرارها ويعبر عن هذا المؤشر الزمني وهو تاريخ الإنشاء والذي يزيد من قيمة هذه المنازل وأهميتها:

- الندرة والتفرد والتميز لعدم انتشارها في وقتنا الحالي مثلما كانت عليه سابقاً.
- ارتباط هذه المنازل بأحداث هامة في تاريخنا الحديث.
- كما أن الفترة التي تعبر عنها المنازل من أهم الفترات في تاريخنا الحديث.

٣- القيمة الجمالية والفنية والمعمارية:

حيث أن هذه المنازل ذات طراز شديد التميز والفخامة وتحتوي على تفاصيل فنية ومعمارية مبدعة وتعبر عن طابع عمراني ومعماري واضح ومتميز.

٤- القيمة الاجتماعية:

حيث كانت تسكن هذه المنازل طبقة الصفوة في هذه الفترة فقد كانت تعبر عن شريحة اجتماعية متميزة لم ولن تتكرر في وقتنا الحالي فالنظرة الطبقية كانت واضحة جداً وتفرق بين الشرائح المختلفة للمجتمع وهذه ظهرت على جوانب كثيرة منها المباني السكنية فقد كانت المنازل سكن للأغنياء[١٢].

د – القيمة الوظيفية:

قيمة المنازل الوظيفية تكمن في الهدف من إنشاء كل قصر، فهناك وظائف متعددة تم إنشاء هذه المنازل من أجلها مثل (السكن – مقر الحكم – الراحة والاستجمام – إقامة الحفلات – حفظ المقتنيات –العزلة).

هـ. القيمة السياسية:

وتكمن هذه القيمة في كون القصر مرتبط بأحداث وقرارات سياسية هامة، لذا فإن تصنيف المنازل التاريخية من أهم الخطوط التي تحتاج إليها في مشروعات الحفاظ وهذا التنسيق يوضح أهمية القنصلية (منزل) وبالتالي يوضح القيم التي تحتوي عليها كمنزل ومنها يحدد الخطة المتبعة في مشاريع الحفاظ على هذه المنازل وخاصة مشاريع إعادة الاستخدام والتي يحدد من خلال هذه القيم الاستخدام الأمثل الذي يحافظ على هذه القيمة الغالية وإذا أردنا تصنيف هذه القصور نجد أن هناك خمسة عوامل رئيسية يمكن تصنيف المنازل تبعاً لها وهم[١٣].

---

[١٢] شيماء حسن زكي، المرجع السابق، ص٢١. ص٢٢.

[١٣] شيماء حسن زكي، المرجع السابق، ص٢٣. ص٢٤.

وهنا يجدر الإشارة إلى أن جميع القنصليات موضوع الدراسة كانت فى الأصل منازل بُنيت فى العصر العثمانى فى الفترة من منتصف القرن(١٠ – ١٤هـ / ١٦ – ٢٠م)، ثم تحولت بعد ذلك عن طريق البيع

والشراء، أو عن طريق الإيجار إلى قنصليات أجنبية للسكن وإدارة شئون الرعايا الأجانب فى نفس الوقت، لذا فإنه يجدر بنا الإشارة إلى استخدام لفظى المنزل أو القنصلية أثناء الدراسة على اعتبار أن كليهما يحمل نفس المعنى.

وقد ورد لفظ **البيت أو المنزل "كمسكن" فى القرآن الكريم** فى مواضع متعددة، وكذلك فى **الحديث الشريف**، فنعمة البيوت من نعم الله تعالى على عباده التي قد يغفلون عنها وعن القيام بشكره، تلك النعمة التي خص الله بها بني آدم، وأولاها حرمة تعظيما لشأنها،ورفعاً لقدرها، ففي "سورة النّور" آيات تذكر بهذهالحُرمة، حيث ذكر الله تعالى أحكام البيوت مع تلك الأحكام العظيمة التي جاء الإسلام لتوطيدها، وإقامتها وتوكيدها، يقول تعالى:

يا"أَيُّهَاالَّذِينآمَنُواتَدْخُلُوابُيُوتًاغَيْرَبُيُوتِكُمْحَتَّىتَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىأَهْلِهَاذَلِكُمْخَيْرٌلَكُمْ لَعَلَّكُمْتَذَكَّرُونَ (٢٧)فَإِنْلَمْتَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَاتَدْخُلُوهَاحَتَّىيُؤْذَنَلَكُمْوَإِنْقِيلَلَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىلَكُمْوَاللَّهُبِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨)لَيْسَعَلَيْكُمْجُنَاحٌأَنْتَدْخُلُوا بُيُوتًاغَيْرَمَسْكُونَةٍفِيهَامَتَاعٌ لَكُمْوَاللَّهُيَعْلَمُمَا تُبْدُونَوَمَا تَكْتُمُونَ (٢٩)"[١٤].

وفيها تذكير بوجوب شكر هذه النعمة؛ وبيان لمنزلتها وحرمتها في الإسلام، ويظهر لنا ذلك من عدة وجوه:

الوجهالأوّل: أن الله امتن بها على عباده.

قال الله تبارك وتعالى:"وَاللَّهُجَعَلَلَكُمْمِنْبُيُوتِكُمْسَكَنًاوَجَعَلَلَكُمْمِنْجُلُودِالْأَنْعَامِبُيُوتًاتَسْتَخِفُّونَهَايَوْمَ ظَعْنِكُمْوَيَوْمَإِقَامَتِكُمْوَمِنْأَصْوَافِهَاوَأَوْبَارِهَاوَأَشْعَارِهَاأَثَاثًاوَمَتَاعًاإِلَىحِينٍ (٨٠)وَاللَّهُجَعَلَلَكُمْمِمَّاخَلَقَظِلَالًاوَجَعَلَلَكُمْمِنَالْجِبَالِأَكْنَانًاوَجَعَلَلَكُمْسَرَابِيلَتَقِيكُمُالْحَرَّوَسَرَابِيلَتَقِيكُمْبَأْسَكُمْكَذَلِكَيُتِمُّنِعْمَتَهُعَلَيْكُمْلَعَلَّكُمْتُسْلِمُونَ (٨١)"[١٥].

الوجهالثّاني: تسمية البيوتسكناً.

فكثيرا ما يمتن الله على عباده بنعمة السكن، ويجعله من الآيات، كما هو الشأن في الليل، قال تعالى:"فَالِقُالْإِصْبَاحِوَجَعَلَاللَّيْلَسَكَنًاوَالشَّمْسَوَالْقَمَرَحُسْبَانًاذَلِكَتَقْدِيرُالْعَزِيزِالْعَلِيمِ[١٦]" ، وقال سبحانه:"وَمِنْرَحْمَتِهِجَعَلَلَكُمُاللَّيْلَوَالنَّهَارَلِتَسْكُنُوافِيهِوَلِتَبْتَغُوامِنْفَضْلِهِوَلَعَلَّكُمْتَشْكُرُونَ[١٧]".

---

[١٤] سورة النور، آيات ٢٧–٢٩.

عن: محمد الأمين محمد بن المختار الجنكى الشنقيطى، أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، ٩ أجزاء، ج ٥، القاهرة، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، ص ٢٥٤.

[١٥] سورة النحل، آيات ٨٠ – ٨١.

[١٦] سورة الأنعام، آية ٩٦.

وكما هو الشأن في الأزواج، حيث قال تعالى: و"مِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ [١٨]".

الوجه الثّالث: البيوت من مظاهر الغِنَى.

جاء في صحيح مسلم عن أبي عبدالرّحمن الحُبُلِيّ قال: سمعت عبد الله بن عمرو وقد سأله رجل فقال: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ أي الذين يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم؟ فقال له عبد الله: ألك إمرأة تأوى إليها؟ قال : نعم، قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم، قال: فانت من الأغنياء، قال الرجل: فإن لي خادماً، قال رضى الله عنه فأنت من الملوك، ذلك لأن السكن قد حصل له من جهاته كلها، فتمت عليه النعمة.

وفي بعض التفاسير لقوله تعالى: "إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ [١٩]" أن بني إسرائيل كان الرجل منهم إذا كان له بيت وزوجة وخادم يُعدملكاً .

الوجه الرّابع: تخصيص البيوت بالذكر دون سائر النعم.

قال عز وجل: و"كَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ (١١) فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ (١٢) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (١٣) [٢٠]"، خص المساكن بالذكر لأنها من أعظم ما يترفه به العبد [٢١].

ومثله قول الله تعالى في حقّ قارون: فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ [٢٢]".

الوجه الخامس: البيوت من أسباب الأمن.

ويكفي في بيان ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، يوم فتح مكة: مَنْ دَخَلَ بَيْتَهُ فَهُوَ آمِنٌ ".

وروى التّرمذي وابن ماجه والبخاري في "الأدب المفرد" عن عبيد الله بن محصن وابن حبّان عن أبي الدّرداء عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ [٢٣] مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا".

الوجه السادس: إن الله قد جعل للبيت حصانة، ولمن فيه مكانة.

فحرّم الله على صاحب البيت أن يدخل بيته على أهله بعد غياب حتى يُعلِمها، روى البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قَفَلْنَا مَعَ النبى صلى الله عليه وسلم من غزوة، فلما

---

[١٧] سورة القصص، آية ٧٣.

[١٨] سورة الروم، آية ٢١. الشنقيطى، المرجع السابق، ج٥،ص٢٥٩.

[١٩] سورة المائدة، آية ٢٠.

[٢٠] سورة الأنبياء، آيات ١١-١٣.

[٢١] بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى، البرهان فى علوم القرآن، دار المعرفة، ٤ أجزاء، القاهرة، ١٤١٠هـ،١٩٩م، ج٢،ص ١٢٢.

[٢٢] سورة القصص، آية ٨١.

[٢٣] السّرب: النّفس، وروي: سَرَبه: في طريقه في إيابه وذهابه – المعجم الوجيز.